لغة الطفل

والنظم الاجتماعية في العالم العربي

د. إبراهيم بن عبد العزيز الشدي(*)

تمهيد:

حياة الإنسان سلسلة متداخلة من المراحل والأطوار، وأهم مراحلها سنوات الطفولة. وقد أكد الباحثون في ميدان علم النفس على أن أهم سنوات الطفولة تلك السنوات الست الأولى من عمر الإنسان، لأنها تمثل مرحلة جوهرية وتأسيسية تُبنى عليها مراحل النمو التالية، ويتشكل خلالها الكثير من ملامح وخصائص شخصية الإنسان، ومنها اللغة التي يتواصل من خلالها مع الآخرين.

ومعروف أن اللغة تمثل أهم خصائص الإنسان لأنها تحدد شخصيته، وتقوم بدور مهم في حياته، فعن طريق اللغة يستطيع الإنسان أن يعبر عن أفكاره ورغباته وميوله، كما أنه من خلالها يستطيع فهم البيئة المحيطة به والاستمتاع بها، وكذا التواصل الاجتماعي مع الآخرين. وتبدأ أولى مراحل اكتساب اللغة لأي إنسان خلال مرحلة مبكرة من عمره، ثم تنمو اللغة من خلال مؤثرات عديدة، أهمها المحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه الطفل، بالإضافة إلى سلامة وظائف المخ والسمع وسلامة الحالة النفسية للطفل.

ويؤكد بياجيه أهمية المحيط الاجتماعي عندما أشار إلى أن الكلام لدى الطفل يتطور في مرحلتين: الأولى منهما مرحلة الكلام المتمركز حول الذات، ثم تأتي المرحلة الثانية وهي ترتبط بالكلام الاجتماعي حيث يدور كلام الطفل حول بيئته الاجتماعية المحيطة به في المدرسة والمنزل. كما تشير الكثير من الدراسات الاجتماعية إلى أن الأسرة تقوم بالدور الرئيس في تربية الطفل في السنوات الست الأولى من عمره، ومن ذلك اكتساب اللغة التي يتحدثها الطفل، ولذا فالأسرة الفقيرة ثقافيًا أو المنطوية على أفرادها أو التي تستبعد الأطفال من نطاق اهتمامها وتوكل أمرهم للخادمات ينشأ أطفالها على الفقر اللغوي وعلى مجموعة من العادات الكلامية الخاطئة، والتي يصعب التخلص منها في المراحل العمرية التالية، كما أن الاستثارة الاجتماعية والحركية والعقلية

(*) أمين عام اللجنة الوطنية السعودية للطفولة.

واللغوية السليمة التي تقدمها الأسرة ورياض الأطفال ذات أثر إيجابي على شخصية الطفل ونموه اللغوي السليم .

ولكي يتعلم الطفل العربي لغته الأم ويتقنها جيدًا، فلا بد أن يكون الاهتمام الأسري والاجتماعي والرسمي منصبًّا على تعلم الطفل اللغة العربية الفصيحة خلال المراحل العمرية المبكرة للطفل؛ حتى يكون اكتسابه للغة في الوقت المناسب ، مما يبقيها لغته الأم التي لا تتأثر بتعلم لغات أو لهجات أخرى لاحقًّا .

ومع الأسف الشديد ، فإن الطفل العربي في وقتنا الحاضر لا يلقى الاهتمام المناسب والكافي لتعلمه اللغة العربية في السنوات الأربع الأولى من عمره ، وهي السنوات التي أبدع الخالق العظيم في جعلها زمن استعداد مخ الطفل لتعلم لغته الأم التي تبقى معه طوال حياته ، فالطفل العربي لا يسمع سوى اللغات غير العربية أو المختلط معها بعض اللهجات الأخرى التي يتعلمها في سنواته الأولى ، وبالتالي تسيطر هذه اللهجات المختلطة على مركز اللغة في المخ، ولا يتمكن الطفل لاحقًا من تعديلها وتعلم اللغة العربية الفصيحة التي ينبغي أن تكون لغته الأم .

ومن يتابع حياة الطفل العربي في وقتنا الحاضر يعرف أن البيئة التي يعيش فيها الأطفال في سنواتهم المبكرة الأولى بعيدة جدًّا عن اللغة العربية الفصحى ، ما بين لهجات محلية متعددة ، وأمية منتشرة بين أفراد الكثير من الأسر العربية ، وخادمات ومربيات من بيئات ولغات أخرى يعشن مع الطفل أكثر ساعات يومه، وحينما يدخل من تُتاح له الفرصة من هؤلاء الأطفال المدرسة الابتدائية لا تلقى لغته العربية الاهتمام الذي تستحقه ؛ كما أن الطفل يكون قد اكتسب لغته الأم قبل دخول المدرسة ، وهي اللغة التي تكون خليطًا من لهجات عامية .

وتسعى هذه الورقة إلى إلقاء الضوء على أثر النظم الاجتماعية على اكتساب اللغة العربية الفصحى لدى الأطفال في عالمنا العربي .

أهمية اللغة للإنسان:

تقوم اللغة بدور مهم في حياة الإنسان ، لأنها الأداة التي يتواصل بواسطتها مع الآخرين ، ويستطيع أن يعبر من خلالها عن أفكاره ورغباته وميوله ، ويفهم البيئة المحيطة به ويستمتع بها .

واللغة هي أداة اكتساب المعرفة وإنماء الفكر ، وهي الحبل المتين الذي يشد الأفراد فيما بينهم ، وتكوّن اللغة من مجموع الذين يتحدثون بها أمة مميزة قادرة على البقاء والنمو والإبداع . فاللغة خاصية إنسانية أصيلة يتميز بها الإنسان دون سائر المخلوقات . وهي تمثل فكرًا ووجدانًا وإرادة للإنسان ، ويؤدي من خلالها وظائف التفكير والتعبير والتواصل .

ولا يمكن الحديث عن اللغة دون الحديث عن الهوية؛ لأن اللغة تحمل هموم متكلميها وتنظم سلوكهم وتفاعلهم وتوحد انتماءهم. فقيمة اللغة إذًا ليست في طبيعتها ولا في أساس مكوناتها الداخلية، إنما تكمن أهمية اللغة في كونها مفهومًا أو صفة تميز مجموعة من الناس، بها يتفاهمون، وبها يعرفون أكثر من سواها. "ومن خلال اللغة لأي مجتمع يمكن تحليل رؤية هؤلاء الناس للواقع الذي يعيشونه وانطباعاتهم وتلقيهم للأحداث التي يمرون بها"[1]. ويشير محمد الطيبي من منظور أنثروبولوجية اللغة، أنها تمثل وعاء الجماعة، بها تدرك ذاتها الجماعية التي تتطور من خلال أشكال التعبير إلى هوية ثقافية متميزة"[2]. واللغة هي بيت الكائن البشري على حد تعبير الفيلسوف الألماني "هيدجر"، فمن دونها لا يستطيع هذا الكائن أن يعبر عما يجول في نفسه، ولا أن يتعرف على أفكار الآخرين، ودون اللغة يمكن للمرء أن يبقى حبيس سجن دائم، لا يفهم ولا يقدم، كما أن ثقافة كل أمة كامنة في لغتها، في إبداعاتها ومعاجمها[3].

اللغة العربية:

اللغة العربية من بين اللغات العريقة التي كانت ولا تزال موضع عناية واهتمام العلماء على مر القرون، ويزيدها قوة وشموخًا وانتشارًا أنها لغة القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ (سورة يوسف: ٢)، وقال ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا. ۝١١٣﴾ (سورة طه: ١١٣).

واللغة العربية التي نزل القرآن الكريم بها هي لغة قريش القبيلة العربية الأصيلة، وهي لغة الأدب والكتابة عند جميع القبائل العربية، قبل نزول القرآن الكريم، ومع نزول الوحي باللغة العربية اتسعت أغراضها وارتقت أساليبها، فظلت متألقة فصيحة حتى يومنا هذا، وبلغت من الثراء في المفردات وصيغ التعبير، ما أثار إعجاب كبار علماء اللغات، ومن ذلك المستشرقين الذين عنوا بدراستها، فقد أعرب "نولدكه" عن إعجابه من وفرة مفرداتها فقال: "إنه لا بد أن يزداد تعجب المرء من وفرة مفردات العربية، عندما يعرف أن علاقات المعيشة لدى العرب بسيطة جدًّا، وبلدهم ذو شكل واحد، ولكنهم داخل هذه الدائرة يرمزون للفرق الدقيق في المعنى بكلمة خاصة".

(١) د. بسام بركة، اللغة العربية: القيمة والهوية، مجلة العربي، العدد ٥٢٨، نوفمبر ٢٠٠٢، ص ٨٢.
(٢) د. محمد الطيبي: العرب، الأصول والهوية، دار الغرب ٢٠٠٢، ص٨٢.
(٣) د. سليمان إبراهيم العسكري، عندما تتهشم الحروف، العولمة وتأثيرها على لغة الطفل العربي، ندوة الطفل العربي في مهب التأثيرات الثقافية المختلفة، الإسكندرية.

الأطفال واللغة:

لغة الطفل تسير في جدول زمني محدد تقريبًا ، حيث يبدأ الطفل منذ ولادته في إصدار بعض الأصوات من ضحك وبكاء ، ثم يبدأ المناغاة واللعب الصوتي خلال السنة الأولى ، ويبدأ في نطق أول كلمة عندما يتم عامه الأول ؛ ويستطيع الطفل استعمال اللغة وسيلة للاتصال فيما بين الشهر الثاني عشر والثامن عشر من عمره ، وخلال تلك الفترة تزداد حصيلته اللغوية حتى يتمكن من تكوين جملة من كلمتين في نهاية العام الثاني ، وتتطور اللغة تطوراً سريعًا حتى يصبح الطفل عند بلوغه أربعة أعوام قادراً على استعمال عشرة آلاف كلمة في اليوم الواحد ، وعندما يبلغ الطفل السنة السادسة من عمره يستطيع بناء جمل مختلفة الطول والتعقيد ، وفي المدرسة يصبح الطفل قادراً على التعبير عن احتياجاته بلغة واضحة إذا أحسن التكيف مع أجواء المدرسة ، وتوفر له بيئة تساعده على التفاعل والاستفادة من المفردات التي اكتسبها ، ولم يكن لدى الطفل مشكلات صحية تتصل بوظائف المخ والسمع .

وقد أثبت بعض الباحثين أن الأطفال بين الشهر السادس والثامن عشر يعرفون عن اللغات أكثر مما يتصور الكبار ، كما تشير بعض الدراسات إلى أن تعلم الأطفال للغة التي تبقى معهم وتعد لغتهم الأم يكون مع نهاية السنة الثانية حتى الرابعة من عمر الطفل ، وكل ما قد يتعلمه بعد ذلك إنما يقوم بترجمته مع لغته الأم . ويؤكد هذا ما تشير إليه أخبار العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، عندما كان العربي يرسل أطفاله بوقت مبكر من طفولتهم؛ لضمان تعلمهم اللغة العربية الفصيحة من أبناء البادية العرب الذين لم تتأثر لغتهم بلهجات بعض الوافدين إلى مكة أو غيرها من الأماكن التي تجمع العرب مع غيرهم من الأمم الأخرى .

أثر البيئة الاجتماعية على تعلم اللغة:

الأسرة هي العنصر الرئيس والأهم في تربية الطفل ولاسيما خلال السنوات الست الأولى من عمره ، ومن ذلك تعلم اللغة التي يتحدثها الطفل وتكون لغته الأم، ولذا فالأسرة الفقيرة ثقافيًا أو المنطوية على أفرادها أو التي تستبعد الأطفال من نطاق اهتمامها وتوكل أمرهم للخادمات ينشأ، أطفالها على الفقر اللغوي وعلى مجموعة من العادات الكلامية الخاطئة ، والتي يصعب التخلص منها في المراحل العمرية التالية ، كما أن الاستثارة الاجتماعية والحركية والعقلية واللغوية السليمة التي تقدمها الأسرة ورياض الأطفال ذات أثر إيجابي على نمو الطفل اللغوي السليم .

وينشأ الطفل ويعيش في البيئة اللغوية التي تهيئها له أسرته ثم أهله وقومه، ويستمد منهم حصيلته اللغوية الأساسية، التي يبدؤها باكتساب بعض المفردات التي لا تتعدى ما يتراوح بين ثلاثين وخمسين كلمة خلال الأشهر الثمانية عشر الأولى من عمره ، ثم يزيد الطفل حصيلته

اللغوية من خلال احتكاكه وحديثه مع الآخرين؛ حيث ترتفع مفرداته إلى أربعمائة كلمة عندما يتجاوز السنتين، وقد تصل حصيلته اللغوية إلى حوالي ألف كلمة في سن الثالثة. ولا يقتصر أثر المحيط الاجتماعي على زيادة مفردات الطفل أو محدوديتها، بل يتعدى هذا الأثر إلى نمو شخصيته، فكلما زادت الحصيلة اللغوية ازداد محصول الطفل الثقافي والفكري بوجه عام، وتطورت معلوماته، كما أن زيادة الحصيلة اللغوية تترك آثارًا بالغة الأهمية في نفسية الطفل؛ لأنها تطور شخصيته التي تصبح أكثر انفتاحًا على المجتمع الذي يحيط به وأكثر تفاعلاً معه، كما تنمو مشاعر الألفة للآخرين والثقة بالنفس كلما زادت قدرته على الحديث مع أفراد مجتمعه. أما قلة الحصيلة اللغوية لأي طفل، فتقلل من حصيلته الفكرية ومن قدرته على التواصل والتكيف مع الآخرين.

الأطفال العرب ولغتهم:

تواجه اللغة العربية في وقتنا الحاضر بعض العوائق التي تحد من تبوؤها المكانة التي تستحقها، ومن ذلك صور الجفاء والإهمال من أبنائها، فهناك، مع الأسف الشديد، انطباع خاطئ لدى بعض أبناء العروبة بأن اللغة العربية لا تواكب حركة العلم والتكنولوجيا، وعظّم مثل هؤلاء اللغات الأجنبية الأخرى؛ مما جعل الأطفال العرب يحملون الشعور بالدونية والنقص أمام اللغات الأخرى، وصار النطق باللغات الأجنبية لدى البعض دليل تفوق فكري وحضاري. والسؤال المطروح أمام مثل هؤلاء المنبهرين بالأجنبي، هل تغيرت اللغة العربية ما بين ماضيها وحاضرها؟ هل فقدت لغتنا الفاعلية التواصلية؟ ألم تكن هذه اللغة وعاء ثقافات عديدة طوال التاريخ؟.

إن المؤكد لدى كل منصف أن المشكلة الحقيقية لا تكمن في اللغة العربية ذاتها بل في الإنسان العربي الذي يعيش أحيانًا مرحلة انبهار بالأجنبي، قد يزيد لدى البعض إلى شعور بالنقص، فيمارس هذا البعض محاكاة الأجنبي مما قد يفقده أصالته وهويته، لأن الهوية القومية ترتبط باللغة القومية؛ مما يجعل الاعتزاز باللغة اعتزازًا بالانتماء القومي.

ويزيد من مشكلات اللغة العربية التي تتعرض لها اليوم مشكلة انتشار العامية، والتبشير أحيانًا بإحلالها محل اللغة العربية الفصحى، ثم المناداة أحيانًا أخرى باستعمال الحروف اللاتينية بديلاً عن الحروف الأبجدية العربية، بحجة أن استخدام الحروف اللاتينية يتفق مع متطلبات العصر الحديث، والحروف العربية في نظرهم عاجزة عن مسايرته. ويزيد من مثل هذه الأخطار على لغتنا العربية الفصحى اتجاه وسائل الإعلام والصحافة والمؤسسات الرسمية إلى استعمال اللغة الركيكة والعامية بدل الفصحى، حتى في الخطابات الرسمية.

ولذا، فقد أصبح الطفل العربي المعاصر يعاني نوعًا من الاضطراب اللغوي المبكر، فبدلاً من

أن يقوم بتقليد الكبار الذين يتحدثون الفصحى كما كان يحدث قديمًا، أصبح الآن يستمع إلى هؤلاء الكبار يتحدثون لغة عامية ، كما أصبح الطفل يميل أكثر لتقليد أجهزة الإعلام التي نتركه، نحن الكبار ، أمامها لساعات طوال؛ مما يجعله يندفع لترديد وحفظ الأشياء التي يسمعها دون وعي بمضمونها، وعندها يقع الأطفال فريسة لغة لا تحمل مضمونًا ثقافيًّا أو فكريًّا لديهم ، وتتأثر لديهم الحصيلة اللغوية بلغتهم القومية، الأمر الذي يترك كثيرًا من الآثار السلبية في حياة الطفل .

ولتلافي هذا الخطر على ثقافة أطفالنا العربية التي تعد لغتنا الفصحى قوامها وعمادها ، فإن من المهم أن يكون الاهتمام الأسري والاجتماعي والرسمي منصبًّا على تعلم الطفل اللغة العربية الفصيحة خلال المراحل العمرية المبكرة للطفل حتى يكون اكتسابه للغة في الوقت المناسب ، مما يبقيها لغته الأم التي لا تتأثر بتعلم لغات أو لهجات أخرى لاحقًا . ومع الأسف الشديد ، فإن الطفل العربي في وقتنا الحاضر لا يلقى الاهتمام المناسب والكافي لتعلمه اللغة العربية خلال السنوات الأربع الأولى من عمره ، وهي السنوات التي أبدع الخالق العظيم في استعداد مخ الطفل لتعلم لغته الأم خلال هذه السنوات ، مما يجعل اللغات أو اللهجات الأخرى التي يتعلمها في سنواته الأولى تسيطر على مركز اللغة في المخ، ولا يتمكن الطفل لاحقًا من تعديلها وتعلم اللغة العربية الفصيحة التي ينبغي أن تكون لغته الأم .

الأطفال العرب والعولمة:

العولمة الحديثة أصبحت سمة الحياة المعاصرة ، ولم يعد هناك حواجز بين ثقافات العالم المتعددة والمختلفة ، بل تكاد العولمة أن تدخل كل بيت ، وتترك أثرها المباشر وغير المباشر في ثقافة أفراد المجتمع ، ولاسيما في نفوس الأطفال الصغار وهم داخل جدران بيوتهم ، كما تحاصرهم منتجات العولمة ومؤسساتها في مواقع كثيرة من حياتهم خارج البيت . وتتأثر ملامح شخصية الطفل بما تواجهه من موجات العولمة ، وعلى الأخص قدرة الطفل على تكوين لغته الأم ، حيث تتأثر لغة الطفل وهي في مرحلة تكونها الأولى بهذا الطوفان الإعلامي الهائل الذي تحمله العولمة إليه .

ويمكن أن نجمل تأثيرات العولمة في المجال اللغوي للطفل في المجالات الأساسية التالية :

الأول: وسائل الإعلام:

نعيش الآن في عصر وسائل الإعلام التي تنقل لنا الصورة والكلمة، وهذا الفضاء المفتوح من حولنا مزدحم بعشرات من الأقمار الصناعية التي تنقل الأصوات والصور من كل مكان في العالم، تدخل بيوتنا دون استئذان، وتفرغ محتوياتها في أذهان أفراد المجتمع ولاسيما الأطفال منهم . وتشير بعض الإحصاءات إلى أن الوقت الذي يقضيه الطفل العربي أمام جهاز التليفزيون يقدر بحوالي ٨ـ

٢١ ساعة يوميًّا، خاصة في أوقات الإجازات[٤]، ولاسيما إذا كان الطفل في سنوات ما قبل المدرسة. وهذا الوقت الطويل يؤكد أن التليفزيون قد أصبح الأداة الأساسية التي تتوافر من خلالها المعلومات التي تجيب عن تساؤلات الطفل، وكذلك المواد الترفيهية التي تستجيب لرغباته وميوله.

وقد تزداد نسبة الجلوس أمام التليفزيون إلى حد كبير في بعض الدول لأسباب وظروف متعددة، ففي دول الخليج العربي مثلاً، حيث الجو الحار والبيئة المحافظة نسبيًّا التي قد تجعل الأطفال يقضون وقتًا أكبر داخل البيوت وليس أمامهم إلا هذه الأجهزة، التي ساعدت الوفرة الاقتصادية على جعل هذه البيوت تزدحم بأكثر من جهاز، وهذه الأجهزة متصلة بأقمار البث المباشر مما يمكنهم من استقبال قنوات تليفزيونية عديدة من أماكن بعيدة، وذات طابع ثقافي مختلف، ويعطي هذا الأمر فرصة أكبر للتأثر الثقافي واللغوي.

واللغة المستخدمة في جهاز التليفزيون غالبًا ما تكون مبسطة وسطحية، بل ربما غلبت عليها اللهجات المحلية حتى تخاطب كل فئات الجماهير، والطفل الذي يجلس أمام هذه الأجهزة متفرج سلبي، لا يقوّم أو يمحص ما يتلقاه من هذه الأجهزة، فهي أشبه بالمعلم الذي يلقن تلميذه من جانب واحد دون أن يدخل معه في أي تفاعل.

وبجانب تأثير التليفزيون والأجهزة الأخرى على الطفل من الناحية اللغوية، فإن بقاءه أمام هذه الأجهزة الترفيهية وقتًا طويلاً يشغل الطفل عن عمل اتصالات وعلاقات اجتماعية مع الآخرين، سواء مع أخوته الأكبر سنًّا أو مع والديه وأفراد أسرته الآخرين، وحتى مع أصدقاء المدرسة إن كان في السن المناسبة لذلك.

الثاني: الحاسب الآلي:

أصبح الحاسب الآلي الآن وسيلة لا غنى عنها لكافة أفراد المجتمع، ويُعد الكمبيوتر بالنسبة للأطفال أداة مهمة للتعليم والمعرفة، إضافة إلى دوره في المتعة والتسلية وإقامة علاقات من خلال وسائل الاتصال ـ عبر شبكة الإنترنت ـ مع الآخرين.

وقد استطاع الكمبيوتر بحجمه الصغير أن يُغْني المرء عن الرجوع إلى مكتبة كاملة، وذلك من خلال توافر ملايين البرامج الحاسوبية التي تضم كمًّا هائلاً من المعلومات والصور والأفلام في مجالات عدة بلغات مختلفة، أقلها مع الأسف الشديد ما يكون باللغة العربية لحداثة تجربة المؤسسات العربية في الاستفادة من هذه التقنية.

ويزيد من أثر الحاسب الآلي سهولة وصله بشبكة الإنترنت التي تحوي ملايين المواقع التي

(٤) د. سليمان إبراهيم العسكري، عندما تتهشم الحروف، العولمة وتأثيرها على لغة الطفل العربي، ندوة الطفل العربي في مهب التأثيرات الثقافية المختلفة، الإسكندرية.

يكون أكثرها أيضًا بلغات غير عربية ، وهي مواقع جاذبة، خاصة بالنسبة للأطفال الذين يقبلون على الحاسب الآلي لتميزه بالجاذبية والحيوية التي يمكن أن تأخذ الطفل لساعات طويلة؛ لأنه جهاز تفاعلي يأخذ ويعطي، ويمكن أن يقود الطفل من مرحلة إلى أخرى بسهولة ويسر .

ونظرًا لأهمية الحاسب الآلي في المجال اللغوي للطفل، فقد بدأت العديد من الدول الغربية بإنشاء مؤسسات وشركات خاصة هدفها تطوير المهارات اللغوية للأطفال، عن طريق تصميم عدد كبير من البرامج التعليمية المقروءة والمسموعة التي تهدف إلى زيادة الحصيلة اللغوية للطفل . وقد بدأت بعض المؤسسات العربية المهتمة مشكورة استثمار هذه التقنية لتعليم أطفالنا لغتهم العربية الفصحى ، وهي خطوة مهمة نأمل أن تتواصل وتزداد لتوفر للطفل العربي البرامج والمواقع التي يحتاجها ويتوق إليها ، وبالتالي تقلل من حاجته للمواقع الأخرى بغير لغته العربية الفصحى، وتحميه من الآثار السلبية التي تتعرض لها ملكة الطفل اللغوية .

الثالث: اللغات الأجنبية:

دفعت العولمة التي يعيشها العالم اليوم باللغة الإنجليزية إلى صدارة اللغات العالمية، فأصبحت لغة الأعمال والثقافة والسياسة ، ونسبة كبيرة من المواقع على شبكة الإنترنت ، وتبعًا لذلك زاد الاهتمام بين الأفراد والمؤسسات حول العالم من أجل تعلم اللغة الإنجليزية ، حيث يحرص الآباء على توفير هذه الفرصة لأبنائهم، إيمانًا منهم بأن أسواق العمل المستقبلية سوف تكون مفتوحة لأطفالهم الذين يجيدون اللغة الإنجليزية أكثر من غيرهم .

ورغم أهمية أن نتعلم هذه اللغة الأجنبية، لأنها مصدر مهم وواسع من مصادر المعرفة ، وأصبحت صلة تواصُل قوية بالعالم الذي يحيط بنا ، إلا أننا نشعر في الوقت نفسه بالخوف من الأثر التدريجي على اللغة العربية أمام هذا النمو اللغوي الكاسح للغات الأجنبية ولاسيما الإنجليزية ، لأن هذا الاندفاع نحو تعلم اللغات الأجنبية قد يؤثر على الروابط التي تربط بيننا وبين تراثنا القديم، وبين البلاد العربية وبعضها البعض، بل قد يكون سببًا لاضطراب بعض الأفراد، ولاسيما الأطفال ثقافيًّا وحضاريًّا .

الرابع: العمالة الأجنبية:

من بين أهم مظاهر العولمة وجود آلاف بل ملايين العمال والعاملات في بلادنا العربية ، ولاسيما بعضها كدول الخليج العربي . وقد دخلت فئات من هذه العمالة الأجنبية منازلنا ، وأصبحوا يؤثرون على تربية أطفالنا بصور عديدة ، ومن ذلك التحدث بلغة غريبة هي خليط من لغات هذه العمالة ولغتنا العربية ، والربط بينهما بألفاظ من لغات أخرى، وتكون نتيجة ذلك

تشوه مراكز اللغة والنطق عند الأطفال في العمر المبكر الذي يُعد الأهم لتعلم الطفل لغته الأم التي تبقى معه طوال حياته .

الخامس: لغة الطفل والمدرسة :

يعود جزء من أزمة اللغة العربية وضعف مفرداتها عند الطفل إلى التوقيت والطريقة التي يتم بها تدريس هذه اللغة داخل المدرسة ، فتعلم اللغة العربية لأطفال المدارس يتم بعد تجاوزهم السنة السادسة من أعمارهم ، وتلك مرحلة متأخرة ، لأن مخ الطفل قد أكمل تعلم اللغة التي أُتيحت له في السنوات الأربع الأولى من عمره ، وهي اللغة التي تبقى لغته الأم إلى حد كبير . ويقلل من قدرة المدرسة على تعليم الأطفال لغتهم العربية الفصحى ضعف البيئة التربوية والتعليمية داخل المدرسة، فهي من جانب تشكو من عوائق مادية ومعنوية ، وينصب ضعف بيئة المدرسة في جانبه الآخر على أساليب ونظم التربية والتعليم المتبعة والكتب والوسائل الدراسية .

ويزيد من إشكالية تعلم اللغة العربية في المدرسة ذلك التناقض اللغوي الذي يشعر به الطفل بين لغة المدرسة ولغة الشارع أو المنزل الذي يعيش فيه، فكتب المدرسة كلها مدونة باللغة العربية الفصحى ، بينما ينطق الآخرون خارج المدرسة بالعامية الدارجة مع اختلاف بين كل قطر من أقطارنا العربية . وبالرغم من أن جذور كثير من اللهجات المستعملة في الوطن العربي يعود إلى الفصحى ؛ إلا أنها تُحرف عند النطق بها مما يجعل كلماتها مشوهة ، ويكون من الصعب التعرف على جذورها، كما أنها لا تصلح للاستخدام في النشاطات الكتابية داخل المدرسة . ويؤثر هذا التناقض بطبيعة الحال على لغة الطفل ، لأن قلة ممارسة الفصحى في أمور الحياة اليومية تضعف من طلاقته بها ، ولا تجعله يتدرب على تطبيق ما تعلمه في المدرسة عند حديثه مع الآخرين، وقد يغرس ذلك إحساسًا داخل الطفل بأن العربية الفصحى لغة محصورة داخل جدران المدرسة وغير صالحة لأمور الحياة.

كيف يمكن للطفل ولغته العربية أن ينجوا من طوفان العولمة؟

العولمة ، كما أشرنا ، لم تَعُدْ شيئًا يمكن تلافيه أو الابتعاد عنه لأنه أصبح جزءًا متشابكًا مع كل أو معظم عناصر حياتنا في الوقت الحاضر ، ولذا فلا بد من ترتيب حياتنا، بما في ذلك أطفالنا ، للتعامل معه بشكل يمكِّننا من الاستفادة منه ، ويقلل من آثاره السلبية على جوانب حياتنا وحياة أطفالنا ، ولاسيما تلك الخصائص الدينية والثقافية التي نعتز بها ، ومن ذلك لغتنا العربية الفصحى ، التي ينبغي أن يزيد اهتمام المربين والمفكرين بواقعها في عصرنا الحاضر ، وذلك من خلال وضع البرامج والخطط الثقافية والإعلامية والتعليمية التي تعمق اعتزاز أبنائها بها، وتزيد من استعمالها في كل جوانب حياتهم .

ويُعد الاهتمام بلغة الطفل العربي الأداة الأهم لتحقيق هذا الهدف ، لأن تربية الأطفال على الاعتزاز بلغتهم وحفزهم على استعمالها يزيد من انتشارها بين فئات المجتمع الأخرى . ولعل في المقترحات التالية ما يساعد على تربية الطفل على تعلم لغته العربية الفصحى واستعمالها :

أولاً: العمل على إعادة اللغة العربية الفصحى إلى مكانتها التي تستحقها وكانت عليها لقرون عديدة ، وليس ذلك من خلال تنمية الاعتزاز بلغتنا العربية بين أبنائها فقط ، وهو مهم جداً، بل لا بد العمل على كل المستويات الرسمية والثقافية والسياحية وغيرها على تعزيز انتشار استعمال اللغة العربية في ميادين الحياة المختلفة في عالمنا العربي وحول العالم أسوة باللغات العالمية الحية الأخرى ، ولاسيما اللغة الإنجليزية ، وليس ذلك على الله بعزيز ، لأن اللغة العربية تمتلك كل مقومات الحياة والانتشار ، ويبقى دور أبنائها من العلماء والمثقفين والمؤسسات التعليمية والجامعية ووسائل الإعلام المختلفة ، وقبل هذا وبعده الإرادة القومية والرسمية لبلداننا العربية ، وعندما يعود للعربية عزها ومجدها ، إن شاء الله ، ستسهل المعوقات الأخرى ويمكن التعامل معها على خطوات .

ثانيًا: الاهتمام بخاصية ووقت تعلم الأطفال اللغة العربية ، وذلك بتعليم الطفل خلال سنواته الأولى حتى الرابعة لغة عربية فصحى ، وترديد المفردات العربية السهلة المناسبة معه، ثم استعمال التراكيب والجمل العربية التي يمكن أن يفهمها الطفل ويسهل عليه استعمالها ، كما يجب إبعاده خلال سنواته الأولى عن أية لهجات عامية أو برامج تليفزيونية أو حاسوبية قد تشوش عليه مفرداته العربية الفصحى .

وتتأكد أهمية العناية بلغة الطفل خلال سنواته الأربع الأولى كونها السنوات التي يشكل فيها مخ الطفل اللغة التي ستكون لغته الأم طوال حياته ، مما يجعل ما قد يتعلمه الطفل لاحقًا لغة ثانية يترجمها بواسطة المفردات التي اكتسبها خلال سنواته الأربع الأولى . وحيث إن معظم وقت الطفل خلال هذه السنوات الأربع الأولى يقضيها في إطار أسرته الصغيرة ، فإن هذا يؤكد أهمية الدور الاجتماعي ولاسيما الأسرة في مساعدة الطفل العربي على اكتساب لغته العربية الفصحى ، وذلك بالحرص على الحديث مع الطفل باللغة العربية، والتأكد من حمايتها ، أي لغة الطفل العربية، من تأثير اللغات الأخرى التي قد يتعرض لها الأطفال في ظل هذه العولمة .

ثالثًا: تقنين الساعات الطويلة التي يقضيها الطفل أمام شاشة التليفزيون، حتى نوفر له فرصة نشجعه من خلالها على ممارسة أوجه نشاط متعددة كالرياضة والقراءة ، ونتيح له فرصة الاختلاط فيها بالكبار وفق أسلوب يساعد الطفل على أن يكتسب منهم مفردات اللغة الفصحى .

ونظرًا لارتباط الأطفال بالتليفزيون، فلا بد أن تسهم الأجهزة المشرفة على قنواتنا العربية في تعزيز تعلُّم أطفالنا اللغة العربية الفصحى ، وذلك من خلال إعادة النظر في كل البرامج التي تقدمها التليفزيونات العربية ، وخاصة الموجهة للطفل ، لضمان تقديمها بلغة عربية صحيحة تراعي قواعد اللغة، وأن تكون مبسطة وسلسة في الوقت نفسه، وتقديم برامج إذاعية وتليفزيونية تهدف إلى إثارة الاهتمام بالقراءة.

رابعًا : الاهتمام بالمؤسسات والمراكز التي تقدم أوجه الثقافة العربية لأطفالنا ، ومن ذلك إنشاء المكتبة الخاصة بالأسرة ، وتنظيم زيارات للأطفال إلى المكتبات العامة التي يستطيع الجميع التوجه إليها، وتشجيعهم على زيارتها من خلال تنظيم المسابقات الأدبية والثقافية وتقديم الجوائز المناسبة ، ومن أهم وسائل تشجيع القراءة إتاحة الفرصة للطفل لإبداء رأيه فيما يقرأ أو يشاهد، وأن تتيح له أسرته مجالاً للنقاش وفرصًا للأخذ والرد وأن تحترم اختياراته وآراؤه، لأن هذا يدعم شخصيته وثقته بنفسه ، ويساعده على تطوير قدرته على استعمال مهارته اللغوية في الإقناع والحوار مع الآخرين ، كما يجدد مخزونه اللغوي ويساعده على زيادة مفرداته وحصيلته اللغوية.

خامسًا : المؤسسات التعليمية العربية لها دور مهم جدًّا في حماية لغة الطفل العربي ، وتشجيعه على تعلم اللغة العربية الفصحى من خلال المزيد من تطوير أساليب تعليم اللغة العربية وتدريب معلميها ، وتسخير التقنية في كل المجالات التي يمكن أن تخدم لغتنا العربية ، وهذا الأخير يتطلب توفير البرامج الحاسوبية والمواقع على الشبكة العالمية التي تعلم العربية الفصحى ، كما ينبغي أن تقدم للطلاب والمعلمين الدورات التدريبية التي تمكنهم من استعمال الأجهزة الإلكترونية التي تساعد على تعلم اللغة بشكل فعال ومشوق للطلاب وفق منهج مدروس ولغة سليمة ، ومن المفيد أن يصاحب ذلك توفير معاجم متخصصة يمكن استخدامها إلكترونيًّا بطريقة مبسطة، وأن تكون مقروءة ومسموعة معًا؛ حتى يسمع الطفل نطقها الصحيح ويعرف معانيها ودلالاتها في آن واحد؛ لأن ذلك سيسهم في التخلص من البرامج المترجمة أو المنقولة عن الغرب بطريقة ركيكة.